رسالة من موفد خاص الى الارض المحتلة

أ . ت .

« ان مما هو في غاية الاهمية نشر كتاب مفصل امين لتاريخ فلسطين وتوزيعه على اوسع نطاق لكي يدرك احفاد احفادنا أن فلسطين كانت عربية»، هذا ما قاله لي بصورة مؤثرة مؤخرا كاتب معروف في الضفة الغربية .

« أن فلسطين كانت عربية !! » هذه العبارة التي وردت على لسان الكاتب المشهور في الضفة الغربية ، هل تراها زلة لسان ؟ ام تراها امارة من امارات اليأس والقنوط ؟ لم استطرد بعيدا في التمعن بمدلول هذه العبارة وابعادها ، وآثرت الوقوف عند هذا الحد ! ان فلسطين ، بعد انقضاء خمس سنوات على « نكسة » حزيران ١٩٦٧ لم تعد ، في واقع الامر ، عربية . وهي لم تصبح يهودية تماما بعد ، بيد أن عملية لاتعريبها ومحو عروبتها وتهويدها ماضية على قدم وساق وتتسارع بصورة خطرة . وقد قطعت سياسة التهويد هذه شوطا بعيدا من المتعذر الرجوع عنه في اطار تسوية سياسية او ما يدعى تلطيفا « بالحل السلمي » .

وتعبر العبارة التي وردت على لسان الكاتب المعروف في الضفة الغربية عن مشاعر العجز والقنوط والخوف التي تؤرق خواطر الفلسطينيين الذين يعيشون منذ خمس سنوات في ظل الحكم الصهيوني . ومما يثير الاستغراب ان هذه ليست بين الانطباعات التي تنطوي عليها الكميات الكبيرة من التقارير والتحليلات حول الحياة في اسرائيل والمناطق المحتلة التي يكتبها العدد الوافر من مراسلي الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون والسياح والحجاج ووفود المسؤولين من الحكومات الاجنبية « وبعثات التعرف على الحقائق » الخ ... الذين يزورون المنطقة . فلم ينشر خلال الشهور القليلة الماضية ، خاصة منذ ان جرى الاجهاز « النهائي » على الفدائيين في الاردن في تموز ١٩٧١ ، ولم يذع الا القليل حول وضع الفلسطينيين في الضفة الغربية ، وحول مشاعرهم ووضعهم النفسي ومخاوفهم وآمالهم . اذ يتركز الانتباه الآن، بصورة كلية تقريبا ، على تسوية « النزاع العربي الاسرائيلي » وفتح قناة السويس للملاحة كخطوة أولية وما الى ذلك من سيل الاقتراحات ، والمبادرات والخطط التي تتجاهل أساس المشكلة وهو قضية فلسطين والشعب الفلسطيني وان أتت على ذلك فلماما وبشكل عرضي . ولعمري كان العالم قد نسي أو يتناسى واقع أن فلسطين والقدس كانتا دائما عربيتين ، وأن منشأ النزاع هو حول فلسطين واهلها وارضهم وبيوتهم .

وتصل الى المناطق المحتلة شذرات من التقارير الوافرة التي يكتبها العدد الكبير من المراسلين والزوار الخ ... حول حياة سكان هذه المناطق في ظل الحكم الاسرائيلي بانها « اعتيادية وهادئة » ، وأن العرب في ظل الاحتلال الصهيوني هم اسعد حالا مما كانوا عليه تحت حكم الهاشميين ، وان معظم سكان المناطق المحتلة « يتعاونون » ، وان احوالهم الاقتصادية هي افضل مما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ ، اذ يكسبون نقودا اكثر بعملهم في خدمة الاسرائيليين . وكذلك تصل هذه الصورة المطمئنة المريحة عن الحياة في ظل احتلال العدو الى البلدان العربية حيث يتم تداولها ونشرها على نطاق واسع . فمن التعليقات الشائعة بين العرب هذه الايام « ولكنني سمعت أو قرأت بأن الفلسطينيين في ظل الحكم الاسرائيلي راضون قانعون وان احوالهم طيبة » وما الى ذلك مما يبدو انه يبرر في نظرهم تجاهل القضية الفلسطينية .

صحيح ان الكثيرين من العرب الفلسطينيين يعملون في اسرائيل ، وليس في خدمة اسرائيل ، وانهم يكسبون اكثر مما كانوا يكسبون قبل عام ١٩٦٧ ،